

المحور الثالث: المدرسة البراغمية

I- نشأة الفلسفة البراغماتية :

نشأت البراغماتية المعاصرة كمذهب عملي في الولايات المتحدة الأمريكية مع بداية القرن العشرين: وقد وجدت في النظام الرأسمالي الحر ، حيث تشكلت أمة جديدة في أمريكا من المهاجرين الذين قدموا إليها من مختلف بقاع العالم ، حيث ساهم المجتمع الأمريكي لحداثته في تشكيل أفكاره ومطلقاته من بعثات التبشير والأفكار الفلسفية المختلفة ، حيث ساهم هذا الفكر في البناء ودخل في صراع مع الطبيعة من خلال الاعتماد على النفس والتحرر من القيود وحب الغامرة والاستكشاف ، واستخدام العقل واحترام العمل اليدوي والتطلع إلى التغيير والتجديد وإلى المستقبل باستمرار . ويعد تشارليز بيرس (1839-1914 م) أول من قدم البرجماتية ومفهومها للفلسفة الأمريكية وانتشرت على يد وليام جيمس (1846-1910 م) وتطورت على يد جون ديوي (1859-1952 م)، فهو الذي أرسى دعائم هذه الفلسفة وقام بتطبيق نظرياتها التربوية في المدرسة الأمريكية .

ولقد تطورت هذه الفلسفة في العصر الحديث على يد المفكر الأمريكي ديوي ، ويرى اصحاب هذه الفلسفة أن التربية هي الحياة وانه من واجب المدرسة كأى مؤسسة تربوية أن تستخدم مواقف الحياة في العملية التربوية لهذا يؤمن هؤلاء بمبدأ التعلم بواسطة العمل، لهذا يحرصون على ان توضع أمام التلميذ مشكلات تستدعي منهم التفكير الجاد والاهتمام الحقيقي وتجعلهم في مواقف تثير فاعليتهم الذاتية ويشترك التلاميذ جميعا في محاولة التغلب على هذه المشكلة وإيجاد حل لها.

II- التربية البراغماتية

و بناء على المواقف السابقة فإن التربية في ظل البراغماتية تهدف إلى تعليم الفرد كيف يفكر حتى يستطيع أن يتكيف مع مجتمع دائم التغير، وبالتالي يجب على المدرسة أن تنمي لدى التلميذ الخبرات التي تساعد على أن يحيا حياة سعيدة، وهذا يتطلب من المدرسة الاهتمام بالنواحي التالية :

الصحة الجيدة ، المهارات المهنية ، الاهتمامات والهوايات لوقت الفراغ ، الإعداد للأدوار الاجتماعية ، القدرة على التعامل بكفاءة مع المشكلات .

المحاضرة السادسة : رواد الفلسفة البرغماتية

جون ديوي (1859-1952) :

يعد "جون ديوي" من أبرز مؤسسي الفلسفة البراغماتية ، من أبرز أعماله في الميدان التربوي انشاؤه مدرسته النموذجية في مدينة شيكاغو سنة 1896 ، وقد اتخذ "جون ديوي" من هذه المدرسة الابتدائية النموذجية حقلا لتجربة نظرياته و آرائه التقدمية في التربية، و في سنة 1902 ضمت هذه المدرسة لكلية التربية بجامعة شيكاغو لتكون مدرسة تطبيقية تجريبية لها. و قد "حاول ديوي" أن يقيم برامج هذه المدرسة و إدارتها على مبادئ الفلسفة البراغماتية التي من بينها: وجوب الاتصال و التعاون بين المدرسة و البيت، وجوب اتصال خبرات التلاميذ في المدرسة بخبراتها من خارج المدرسة، وجوب جعل الأطفال يتعلمون عن طريق خبرتهم و نشاطهم الذاتي ، و وجوب احترام ميول التلاميذ و حاجاتهم و حريتهم في التعبير عن أنفسهم .وقد كان لهذه المدرسة أثر بالغ في التمهيد للتربية التقدمية التي سادت أمريكا في النصف الأول من القرن العشرين، كما كان لها فضل كبير في إقناع الآباء بأهمية المبادئ التربوية التقدمية، و بإمكانية تطبيقها.

وقد شجع "ديوي" بمدرسته هذه إنشاء العديد من المدارس التقدمية الخاصة في أمكنة متعددة في الولايات المتحدة . من أشهر كتب ديوي التربوية : المجتمع والمدرسة -الطفل والمنهج ،الديمقراطية والتربية ، الخبرة والتربية .

1- الكون وطبيعة الإنسان :

العالم ليس ثابتا جامدا ولا نظاما مغلقا ، وهذا يعني أنه عبارة عن عملية ديناميكية من التغير والتطور المستمر ، فميزة الحياة الأساسية هي التغير و . طبقا لإيمان " ديوي" بمبدأ الواحدية فقد ذهب الى القول بألا فصل بين الجسم والعقل والروح، فطبيعة الإنسان وحدة متكاملة لا فصل بين جوانبها الجسمية والعقلية والروحية أيضا

2- المعرفة :

المصدر الأساسي للمعرفة الإنسانية هو الخبرة والنشاط الذاتي للفرد: فمعرفة الفرد تكتسب عن طريق خبرته وتفاعله مع عناصر البيئة المحيطة به ، وعن نشاطه وكفاحه من أجل البقاء ومن أجل التغلب على المشاكل التي تواجهه في الحياة . ومن ثم فالمعرفة الحقيقية هي التي تساعد الفرد على تكييف بيئته وتطويرها لخدمة أغراضه وإرضاء حاجاته، ولا قيمة لمعرفة لا يمكن استعمالها أو تطبيقها في الحياة ، كذلك لا قيمة لمعارف الماضي إذا لم تساعد على فهم وحل مشاكل الحاضر ولم تساعد على التنبؤ بالمستقبل ولم تعط معنى لهذا المستقبل، ولهذا فالخبرة عنده تتوقف على أربعة مبادئ: الأدوات - الوظيفية - إمكانية التطبيق - الاستمرار .

3- القيم الأخلاقية :

القيم الأخلاقية أمور إنسانية تنبع من صميم الحياة التي يعيشها الإنسان وليست أخلاقا متعالية تفرض على الإنسان فرضا من جهة عليا، المصدر الأساسي للقيم الأخلاقية هي الخبرة والتجربة، فالفرد يكتسب قيمه الأخلاقية وضميره الأخلاقي عن طريق خبرته وتفاعله مع البيئة المحيطة به المتمثلة في أخلاق المجتمع، فهي لا تنبع من الذات أو الضمير أو العقل، لكنها تكتسب نتيجة تفاعل الفرد . وتعتبر أعمال الفرد أخلاقية إذا ساعدت على نموه الكامل، وعلى النهوض بالمجتمع وحل مشاكله، وعلى تحقيق المصلحة العامة .

ويترتب على الإيمان بأن الأخلاق ظاهرة اجتماعية، أننا إذا شئنا تحسين الأخلاق فعلياً أن نعدل النظم الاجتماعية وأن نحسن تربية الفرد.

4- أفكار ديوي المتعلقة بمعنى التربية وطبيعتها :

- التربية هي الحياة نفسها و ليست مجرد إعداد للحياة، فهي مرتبطة بشؤون الحياة أشد ارتباطاً .
- التربية عملية نمو مما يتطلب مراعاة شروط النمو وشروط التعلم البيولوجية والنفسية .
- التربية عملية اكتساب للخبرة وهذا يعني مراعاة شروط اكتساب الخبرة .
- التربية عملية اجتماعية فلا بد أن تتضمن تفاعلاً اجتماعياً، تتم في جو ديمقراطي وجو اجتماعي صالح وتتلخص نظرية "ديوي التربوية" :

- التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري وبمقتضاها يصبح الفرد وريثاً لما حصلته الإنسانية من حضارة - تتم هذه التربية لا شعورياً، عن طريق المحاكاة بحكم وجود الفرد في المجتمع، ومنه تنتقل الحضارة من جيل إلى آخر .

- التربية المقصودة تقوم على العلم بنفسية الطفل من جهة ومطالب المجتمع من جهة أخرى، فالتربية ثمرة علمين هامين ، هما علم النفس وعلم الاجتماع .

5- أفكاره المتعلقة بأهداف التربية :

- الهدف الأعلى للتربية: تحقيق استمرارية التربية، بأن تساعد الفرد على أن يستمر في تربيته مما يؤدي إلى نموه، تعلمه، تكيفه مع بيئته .

- أهداف التربية تنبع من داخل التربية لا من خارجها، أي تنبع من حاجات التلميذ وخبراته ونشاطاته، أو على الأقل يشترك في تحديدها في ضوء خبراته السابقة و حاجاته.

- التربية التقدمية تقوم على التأكيد على أهمية اشتراك المتعلم في تكوين الأهداف التي توجه نواحي نشاطه في عملية التعلم بحيث يكون تعاون التلميذ إيجابياً في بناء الأهداف التي تتضمنها دراسته ويمكن تمثل هذه الفكرة في أنها تنطلق من دافعية لدى المتعلم تبتدئ بنزعة تصطدم بعائق يحول دون إشباع تلك النزعة إشباعاً مباشراً مما يجعلها تتحول إلى رغبة تصل برؤية واضحة إلى الهدف الحق.

وقد أشار إلى جملة من الأهداف والأغراض التربوية في كتابه "الديمقراطية والتربية" وهي كالتالي :

- مساعدة الفرد على النمو الكامل المتكامل لشخصيته وعلى تفتح استعداداته وطاقاته وتنميتها .
- مساعدة الفرد على التكيف المستمر مع بيئته الاجتماعية والطبيعية وتزويده بالخبرات التي يتطلبها هذا التكيف .

- إعداد الفرد للحياة المستقبلية، لكن من غير إهمال لمتطلبات حياته الحاضرة.

- إعداد للفرد ليكون قادراً على السيطرة على متطلبات الحياة المتأخرة .

- إعادة بناء الخبرة الاجتماعية وتحسين المجتمع وتطوره .

6- أفكاره المتعلقة بمنهج الدراسة:

أ - تقسيم المنهج إلى مواد منفصلة وترتيب هذه المواد ترتيباً منطقياً، أمران لا يتفقان مع عقلية التلاميذ الصغار ولا مع استعداداتهم النفسية في سن مبكرة .

ب- المركز الحقيقي للمنهج هو نشاطات الطفل الذاتية وخبراته . طبق "ديوي" منهجه هذا في مدرسته الابتدائية التي أنشأها، حيث جعل الأطفال يبدؤون بأوجه النشاط التي كانوا قد ألفوها في حياتهم المنزلية وفي حياتهم العامة . ويمكن تصنيف النشاطات والدراسات التي تضمنها منهج مدرسة "جون ديوي" الابتدائية إلى ثلاثة فصول :

-الفصيلة الأولى : تتمثل في أوجه النشاط والأعمال اليدوية التي تدور حول عدد من المهن الاجتماعية: الطبخ، الخياطة، الغزل، الحياكة، ومع نمو عقل الطفل في القوة والمعرفة لا تصبح المهنة مهنة فحسب بل تصبح أكثر فأكثر وسيلة أو أداة للفهم، ولهذا الحالة بدورها ارتباط بتدريس العلم.

-الفصيلة الثانية: وتحتوي على المواد التي تساعدنا على فهم الحياة الاجتماعية كالتاريخ، الجغرافيا، العلوم والفن .

-الفصيلة الثالثة: و تضم دراسات وخبرات تنمي قدرة التلميذ على الاتصال والبحث العقليين: القراءة، الكتابة، الحساب . بالرغم من اشتغال المنهج عند ديوي على ما يتصل بتلك المواد المذكورة من خبرات وأنشطة، فلا توجد مواد منفصلة مستقلة تحمل عناوين تلك المواد بل وجدت متصلة بمواقف الحياة وبأعمال التلميذ اليدوية والعقلية، لذا فقد كانت الطريقة المتبعة في تنظيم خبرات المنهج وتدريسها هي طريقة المشروعات، حيث بإمكان التلميذ عن طريق أي مشروع دراسي أن يكتسب الكثير من الحقائق والخبرات والمهارات التي يمكن أن تكون منتمة إلى عدد كبير من المواد الدراسية التقليدية .

7-أفكاره المتعلقة بطرق التدريس :

أ -الإعلاء من شأن الخبرة المباشرة الصالحة التي من شأنها أن تساعد الفرد على بناء خبراته وتحدددها وتتضمن تفاعلاً بين الفرد وبيئته وتتصل بواقع خبرته وتحدددها واستمرارها .

ب-وجوب ربط خبرات التلميذ داخل المدرسة وخارجها .

ج-مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ وضرورة مراعاة ميولهم ودوافعهم الطبيعية.

د- مساعدة التلميذ على إيقاظ قواه واستعداداته وتعويده على الاستقلال والاعتماد على النفس، والتفكير المنطقي، وحب التعاون، الأصالة، الإبداع والحركة والنشاط الهادف .

والطريقة العامة التي يوصي بها "ديوي" هي طريقة المشروعات وطريقة حل المشكلات ، وتقوم طريقة المشروعات على :وجود مشكلة نابعة من ميول التلاميذ، وجود غرض واضح في أذهان التلاميذ يدفعهم للقيام بنشاط متعدد الألوان عقلي وجسمي واجتماعي حسب خطة اشترك التلاميذ في وضعها، قابلة للتنفيذ و يسود الموقف التعليمي في جميع مراحلها جو طبيعي اجتماعي ديمقراطي يؤدي إلى النمو الفردي والاجتماعي كما أن المعلومات

والنظريات والحقائق تأتي عرضاً ومتقطعة كلما دعت الضرورة إليها في تفسير موقف أو لتوضيح مشكلة، وفي الأخير الحكم والتقييم .